الفصل الثالث

مرويات الطبري عن موقف الخوارج

من خلافة معاوية رضي الله عنه

- حركات الخوارج في الكوفة.
- حركات الخوارج في البصرة.
- السمات العامة لحركات الخوارج في خلافة معاوية رضي الله عنه.

أولاً: حركات الخوارج في الكوفة

١ـ حركة فروة بن نوفل الأشجعي[١]:

[٥٢] قال الطبري:

«وفيها[٢] خرجت الخوارج التي اعتزلت أيام علي عليه السلام بشهرزور[٣] على معاوية»[٤].

[٥٣] حُدثت عن زياد، عن عوانة، قال:

«قدم معاوية قبل أن يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة، فقالت الحرورية[٥] الخمسمائة التي كانت اعتزلت بشهر زور مع فروة ابن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن مالا شك فيه، فسيروا إلى معاوية

---

(١) فروة بن نوفل الأشجعي، ليس له صحبة، من الطبقة الثالثة، قتل في خلافة معاوية، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه. ابن حجر: التقريب ٤٤٥.

(٢) أي في سنة ٤١هـ.

(٣) شهرزور: كورة واسعة تقع بين إربل وهمذان، أهلها أكراد، وهي في العراق اليوم. د. صلاح الدين المنجد: معجم أماكن الفتوح ٧٤١.

(٤) ٥/ ١٦٥.

(٥) الحرورية: هم الخوارج، وحروراء قرية بظاهر الكوفة نزل فيها الخوارج الذين خالفوا علياً رضي الله عنه، فنسبوا إليها. ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٢٤٥.

فجاهدوه، فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام، فكشفوا أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم، فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم، فقالت لهم الخوارج: ويلكم ما تبغون منا، أليس معاوية عدونا وعدوكم، دعونا حتى نقاتله، وإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا، قالوا: لا والله حتى نقاتلكم، فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهر[١]، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة.

وأخذت أشجع صاحبهم فروة بن نوفل ـ وكان سيد القوم ـ واستعملوا عليهم عبدالله بن أبي الحر[٢] ـ رجلاً من طيء ـ فقاتلوهم، فقتلوا[٣].

هذا الخبر أورده البلاذري[٤]، وابن الأثير[٥] بنحوه، وذكرا فيه أن معاوية رضي الله عنه طلب مساعدة الحسن رضي الله عنه في قتال الخوارج، وهذا بعيد لأن أمر الخوارج أهون من ذلك بكثير، وأورده

(١) أهل النهر: هم الذين قاتلوا علياً رضي الله عنه في معركة النهروان سنة ٣٨هـ، والنهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط. ياقوت: معجم البلدان ٥/ ٣٢٥.
(٢) عبدالله بن أبي الحر الطائي، وقيل: عبدالله بن أبي الحوساء الطائي، كان ممن اعتزل قتال علي رضي الله عنه يوم النهروان. البلاذري: أنساب الأشراف ٤/ ١٦٤.
(٣) ٥/ ١٦٥، ١٦٦.
(٤) أنساب الأشراف ٤/ ١٦٣.
(٥) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٠٩.

ابن كثير[١] بمثله إلى قوله: «. . . كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة».

والحديث عن الخوارج في عهد معاوية رضي الله عنه يتطلب منا الرجوع إلى حادثة التحكيم[٢] بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، والتي نتج عنها انقسام جيش علي رضي الله عنه إلى خمسة أقسام[٣]:

الأول: بقي معه.

الثاني: انقلب عليه وقاتله لقبوله التحكيم، وهم الخوارج.

الثالث: قسم انشق عن القسم الثاني وهم الذين توقفوا في أمر علي رضي الله عنه.

الرابع: قسم انشق عن القسم الثاني قبيل معركة النهروان وتركوا قتال علي رضي الله عنه لكنهم لم ينضموا إليه ولا إلى أصحاب القسم الثالث.

الخامس: قسم انشق عن القسم الثاني ورجع إلى علي رضي الله عنه.

وأصحاب القسم الثالث يمثلهم فروة بن نوفل الأشجعي، وهو القائل قبيل معركة النهروان:

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٢.

(٢) بخصوص التحكيم انظر: د. يحيى اليحيى: مرويات أبي مخنف، عصر الخلافة الراشدة ٣٧٧؛ عبدالحميد فقيهي: خلافة علي رضي الله عنه٢٥٨.

(٣) الطبري: التاريخ ٥/ ٨٦.

«والله ما أدري على أي شيء نقاتل علياً، لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتباعه، وانصرف في خمسمائة فارس»[١].

هذا وقد أورد ابن حجر روايةً هامة تبين موقف معاوية رضي الله عنه من الخوارج بعد توليه الخلافة، وفيما يلي نص رواية ابن حجر:

«. . . فرجع الناس فبايعوا معاوية، ولم يكن لمعاوية هَمٌّ إلا الذين بالنهروان[٢]، فجعلوا يتساقطون عليه فيبايعونه، حتى بقي منهم ثلاثمائة أو نيف[٣]، وهم أصحاب النخيلة[٤]»[٥].

«قال ابن حجر: هذا الإسناد صحيح»[٦]

٢ـ حركة المستورد بن عُلَّفة التيمي[٧]:

[٥٤] قال الطبري:

«وفي هذه السنة[٨] تحركت الخوارج الذين انحازوا عَمَّن قتل

---

(١) الطبري: التاريخ ٥/ ٨٦.
(٢) أي الخوارج.
(٣) النيف: من واحد إلى ثلاثة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١١١.
(٤) سموا بذلك لأنهم قتلوا في النخيلة. ياقوت: معجم البلدان ٢/ ١٨٥؛ ٥/ ٢٧٨.
(٥) ابن حجر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤/ ٣١٨، ٣١٩.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المستورد بن عُلَّفة التيمي. كان كثير الصلاة شديد الاجتهاد، وله آداب يوصي بها، خرج بمن معه سنة ٤٣هـ فتصدى له معقل بن قيس فقتل كل منهما صاحبه. المبرد: الكامل ٣/ ١١٦٣؛ تاريخ الطبري ٥/ ٢٠٨، ٢٠٩.
(٨) أي في سنة ٤٢هـ.

منهم بالنهروان[١]، ومن كانت ارتث[٢] من جرحاهم بالنهروان فَبَرُؤُا، وعفا عنهم علي رضي الله عنه»[٣].

[٥٥] ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني النضر ابن صالح بن حبيب، عن جرير بن مالك بن زهير بن جذيمة العبسي، عن أبي بن عمارة العبسي.

«أن حيان بن ضبيان السلمي[٤] كان يرى رأي الخوارج، وكان ممن ارتث يوم النهروان، فعفا عنه علي عليه السلام في الأربعمائة الذين كان عفا عنهم من المرتثين يوم النهر، فكان في أهله وعشيرته، فلبث شهراً أو نحوه، ثم إنه خرج إلى الري[٥] في رجال كانوا يرون ذلك الرأي، فلم يزالوا مقيمين بالري حتى بلغهم قتل علي كرم الله وجهه، فدعا أصحابه أولئك ـ وكانوا بضعة عشر رجلاً، أحدهم سالم ابن ربيعة العبسي[٦] ـ فأتوه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها

---

(١) وهم أصحاب القسم الرابع من الأقسام التي انقسم إليها جيش علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم.

(٢) ارتث: حُمل من المعركة جريحاً. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٢١٧.

(٣) ٥/ ١٧٢.

(٤) حيان بن ظبيان السلمي، بايع المستورد بن عُلَّفة على الخروج، فحبسه المغيرة ابن شعبة، وبعد أن خرج من السجن قام سنة ٥٨هـ بقيادة مجموعة من الخوارج فقتلوا جميعاً. تاريخ الطبري ٥/ ١٨٢، ٣٠٩، ٣١١.

(٥) الري: تقع بالقرب من مدينة طهران. د. صلاح الدين المنجد: معجم أماكن الفتوح ٧٢٨.

(٦) سالم بن ربيعة العبسي، أراد الخروج مع أهل النهروان ضد علي رضي الله عنه سنة ٣٧هـ فنهاه علي فانتهى، ثم أراد الخروج مرة أخرى مع حيان السلمي لكنه =

الإخوان من المسلمين، إنه قد بلغني أن أخاكم ابن ملجم[١] أخا مراد قعد لقتل علي بن أبي طالب عند أغباش[٢] الصبح مقابل السدة[٣] التي في المسجد مسجد الجماعة، فلم يبرح راكداً ينتظر خروجه حتى خرج عليه حين أقام المقيم الصلاة صلاة الصبح، فشد عليه فضرب رأسه بالسيف، فلم يبق إلا ليلتين حتى مات، فقال سالم بن ربيعة العبسي: لا يقطع الله يميناً علت قذاله[٤] بالسيف؛ قال: فأخذ القوم يحمدون الله على قتله عليه السلام ورضي الله عنه ولا رضي عنهم ولا رحمهم!

قال النضر بن صالح: فسألت بعد ذلك سالم بن ربيعة في إمارة مصعب بن الزبير[٥] عن قوله ذلك في علي عليه السلام، فأقر لي به، وقال: كنت أرى رأيهم حيناً، ولكن قد تركته؛ قال: فكان في أنفسنا أنه قد تركه؛ قال: فكان إذا ذكروا له ذلك يرمضه[٦].

قال: ثم إن حيان بن ظبيان قال لأصحابه: إنه والله ما يبقى على الدهر باقٍ، وما تلبث الليالي والأيام والسنون والشهور على ابن آدم حتى تذيقه الموت، فيفارق الإخوان الصالحين، ويدع الدنيا التي لا

= رجع عن ذلك وترك رأي الخوارج. تاريخ الطبري ٥/٧٦ ـ ١٧٣.

(١) اسمه عبدالرحمن بن ملجم المرادي، (تقدم).

(٢) الغبش: بقية الليل وآخره. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٧٧٤.

(٣) السُدَّة: الباب. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٣٦٧.

(٤) القذال: مؤخرة الرأس. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٣٥٣.

(٥) مصعب بن الزبير بن العوام، ولد سنة ٣٣هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه، ولي العراق لأخيه عبدالله، قتل سنة ٧١هـ. ابن حجر: تعجيل المنفعة ٤٠٤.

(٦) يرمضه: يوجعه. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٨٣١.

يبكي عليها إلا العجزة، ولم تزل ضارةً لمن كانت له هماً وشجناً، فانصرفوا بنا رحمكم الله إلى مصرنا، فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى جهاد الأحزاب، فإنه لا عذر لنا في القعود، وولاتنا ظلمة، وسنة الهدى متروكة، وثأرنا الذين قتلوا إخواننا في المجالس آمنون، فإن يظفرنا الله بهم نعمد بعد إلى التي هي أهدى وأرضى وأقوم، ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين، وإن نقتل فإن في مفارقة الظالمين راحةً لنا، ولنا بأسلافنا أسوة، فقالوا له: كلنا قائل ما ذكرت، وحامد رأيك الذي رأيت، فرد بنا المصر فإنا معك راضون بهداك وأمرك؛ فخرج وخرجوا معه مقبلين إلى الكوفة، فذلك حين يقول:

خليلي ما بي من عزاءٍ ولا صبر
ولا إربةٍ بعد المصابين بالنهر
سوى نهضاتٍ في كتائب جمةٍ
إلى الله ما تدعو وفي الله ما تفري
إذا جاوزت قسطانة[1] الري بغلتي
فلست بسارٍ نحوها آخر الدهر
ولكنني سارٍ وإن قل ناصري
قريباً فلا أخزيكما مع من يسري

(١) قسطانة: قرية قرب الري. ياقوت: معجم البلدان ٤/٣٤٧.

قال: وأقبل حتى نزل الكوفة، فلم يزل بها حتى قدم معاوية، وبعث المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة، فأحب العافية، وأحسن في الناس السيرة، ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتى فيقال له: إن فلاناً يرى رأي الشيعة، وإن فلاناً يرى رأي الخوارج، وكان يقول: قضى الله ألاَّ تزالون مختلفين، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، فأمنه الناس، وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان ويرون أن في الإقامة الغبن والوكف[١]، وأن في جهاد أهل القبلة الفضل والأجر»[٢].

[٥٦] قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح، عن أبي بن عمارة:

«أن الخوارج في أيام المغيرة بن شعبة فزعوا إلى ثلاثة نفر؛ منهم المستورد بن عُلَّفة، فخرج في ثلاثمائة[٣] رجل مقبلاً نحو جرجرايا[٤] على شاطىء دجلة»[٥].

[٥٧] قال أبو مخنف: وحدثني جعفر بن حذيفة الطائي من آل عامر بن جوين، عن المحل بن خليفة:

«أن الخوارج أيام المغيرة بن شعبة فزعوا إلى ثلاثة نفر؛ منهم

---

(١) الوكف: الإثم. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١١١٣.
(٢) ٥/ ١٧٣.
(٣) في الأصل (ثلاثة رجل) والتصويب من البلاذري: أنساب الأشراف ٤/ ١٦٩.
(٤) جرجرايا: بلدة تقع بين واسط وبغداد. ياقوت: معجم البلدان ٢/ ١٢٣.
(٥) ٥/ ١٧٤.

المستورد بن عُلَّفة التيمي من تيم الرباب، وإلى حيان بن ظبيان السلمي، وإلى معاذ بن جوين بن حصين الطائي السنبسي[١] ـ وهو ابن عم زيد بن حصين[٢]، وكان زيد ممن قتله علي عليه السلام يوم النهروان، وكان معاذ بن جوين هذا في الأربعمائة الذين ارتثوا من قتلى الخوارج، فعفا عنهم علي عليه السلام ـ فاجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان السلمي، فتشاوروا فيمن يولون عليهم، قال: فقال لهم المستورد: يا أيها المسلمون والمؤمنون، أراكم الله ما تحبون، وعزل عنكم ما تكرهون، ولوا عليكم من أحببتم، فوالذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ما أبالي من كان الوالي علي منكم! وما شرف الدنيا نريد، وما إلى البقاء فيها من سبيل، وما نريد إلا الخلود في دار الخلود، فقال حيان بن ظبيان: أما أنا فلا حاجة لي فيها وأنا بك وبكل امرىء من إخواني راضٍ، فانظروا من شئتم منكم فسموه، فأنا أول من يبايعه، فقال لهم معاذ بن جوين بن حصين: إذا قلتما أنتما هذا وأنتما سيدا المسلمين وذَوَا أنسابهم في صلاحكما ودينكما وقدركما، فمن يرأس المسلمين، وليس كلكم يصلح لهذا الأمر! وإنما ينبغي أن يلي على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب، وأفقههم

---

(١) معاذ بن جوين الطائي، من شعراء الخوارج، بايع المستورد بن علفة على الخروج فحبسه المغيرة بن شعبة، قام سنة ٥٨هـ مع حيان السلمي بقيادة مجموعة من الخوارج فقتلوا جميعاً. تاريخ الطبري ٥/ ١٧٥، ١٨٢، ٣١١.

(٢) زيد بن حصين الطائي، شهد صفين مع علي، وخرج عليه بعد التحكيم، كان على ميمنة الخوارج يوم النهروان سنة ٣٧هـ، قتل أثناء المعركة على يدي أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. تاريخ الطبري ٥/ ٤٩، ٥١، ٨٥، ٨٧.

في الدين، وأشدهم اضطلاعاً بما حمل، وأنتما بحمد الله ممن يرضى بهذا الأمر، فليتوله أحدكما، قالا: فتوله أنت، فقد رضيناك، فأنت والحمد لله الكامل في دينك ورأيك، فقال لهما: أنتما أسن مني، فليتوله أحدكما، فقال حينئذ جماعة مَن حضرهما من الخوارج: قد رضينا: بكم أيها الثلاثة، فولوا أيكم أحببتم؛ فليس في الثلاثة رجل إلا قال لصاحبه: تولها أنت، فإني بك راضٍ، وإني فيها غير ذي رغبة، فلما كثر ذلك بينهم قال حيان بن ظبيان: فإن معاذ بن جوين قال: إني لا ألي عليكما وأنتما أسن مني، وأنا أقول لك مثل ما قال لي ولك، لا ألي عليك وأنت أسن مني، ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعه، ثم بايعه معاذ بن جوين، ثم بايعه القوم جميعاً، وذلك في جمادى الآخرة، فاتعد القوم أن يتجهزوا ويتيسروا ويستعدوا، ثم يخرجوا في غرة الهلال هلال شعبان سنة ثلاث وأربعين، فكانوا في جهازهم وعدتهم»[١].

[٥٨] قال الطبري:

«وفيها[٢] قُتل المستورد بن علفة الخارجي فيما زعم هشام بن محمد، وقد زعم بعضهم أنه قتل في سنة اثنتين وأربعين»[٣].

تحدث الطبري في تاريخه عن حركة المستورد بن علفة التيمي

---

(١) ٥/ ١٧٥.
(٢) أي في سنة ٤٣هـ.
(٣) ٥/ ١٨١.

بإسهاب وتفصيل بعكس أكثر المصادر التي تناولت هذا الحدث، حيث تحدث خليفة[١] بن خياط عن هذه الحركة باختصار شديد، وذكر أنها كانت في سنة ٣٩هـ، وهذا خلاف ما أجمعت عليه المصادر.

وذكرها البلاذري[٢] بشيء من الاختصار، أما اليعقوبي[٣] والمبرد[٤] فقد ذكراها باختصار شديد، كما ذكرها ابن الجوزي[٥] بشيء من الاختصار، أما ابن الأثير[٦] فقد ذكرها بنحو رواية الطبري، وأوردها ابن كثير[٧] باختصار مُخل يوحي بأن هناك سَقْطاً في النسخة المطبوعة من تاريخه، هذا وقد أطال الطبري الحديث عن حركة المستورد بن علفة التيمي؛ ولعل ذلك إشارة منه لأهميتها، ويؤيد ذلك قيام أبي مخنف بتصنيف مؤلف مستقل عن هذه الحركة باسم «كتاب المستورد بن علفة»[٨]، ويبدو أن هذا الكتاب هو مصدر الطبري عن هذه الحركة.

وأهمية هذه الحركة تعود إلى كون أصحابها يمثلون الامتداد الطبيعي لفكر خوارج النهروان الذين قاتلهم علي رضي الله عنه، إذ أن

---

(١) التاريخ ١٩٨.
(٢) أنساب الأشراف ٤/١٦٨.
(٣) التاريخ ٢/٢٢١.
(٤) الكامل في اللغة والأدب ٣/١١٦٣.
(٥) المنتظم ٥/١٩٤ ـ ١٩٥، ٢٠١ ـ ٢٠٦.
(٦) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٢٠ ـ ٤٣٦.
(٧) البداية والنهاية ٨/ ٢٤ ـ ٢٥.
(٨) ابن النديم: الفهرست ١٨٥؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٧/ ٤٢.

معظم المنتسبين إلى هذه الحركة كانوا في خندق واحد في معركة النهروان.

وهذا الأمر هو الذي دفع المغيرة بن شعبة رضي الله عنه إلى اللجوء إلى أنصار علي رضي الله عنه، وخاصة الذين شاركوا في معركة النهروان من أمثال معقل بن قيس الرياحي الذي كان أحد قادة علي يوم النهروان[١]، وتكليفه قيادة الحملة المتوجهة لقتال الخوارج؛ لأن أنصار علي رضي الله عنه هم أخبر الناس بالخوارج وأشدهم عليهم.

وبذلك نجد أنفسنا أمام جولةٍ أخرى لمعركة النهروان يمكن أن نسميها النهروان الصغرى.

ومرويات أبي مخنف عن حركة المستورد ذات قيمة تاريخية عالية حيث قدمت لنا عن هذا الحدث تفاصيل هامة مثل:

ـ موقف الخوارج من استشهاد علي رضي الله عنه، ويستفاد هذا من قول الخوارج:

«... لا يقطع الله يميناً علت قذاله بالسيف، قال: فأخذ القوم يحمدون الله على قتله»[٢].

ـ أسباب خروجهم على جماعة المسلمين، ويستفاد هذا من قول الخوارج:

---

(١) الطبري: التاريخ ٥/ ٨٥، ١٨٨.
(٢) انظر الرواية رقم [٥٥].

«فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى جهاد الأحزاب، فإنه لا عذر لنا في القعود، وولاتنا ظلمة، وسُنَّة الهدى متروكة، وثأرنا الذين قتلوا إخواننا في المجالس آمنون، فإن يظفرنا الله بهم نعمد بعد إلى التي هي أهدى وأرضى وأقوم، ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين، وإن نقتل فإن في مفارقة الظالمين راحة لنا، ولنا بأسلافنا أسوة»[١].

«وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان ويرون أن في الإقامة الغبن والوكف، وأن في جهاد أهل القبلة الفضل والأجر»[٢].

ـ سياسة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مع الخوارج، ويستفاد هذا مما يلي:

«وأحسن في الناس السيرة، ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتى ويقال له: إن فلاناً يرى رأى الشيعة، وإن فلاناً يرى رأي الخوارج، وكان يقول: قضى الله ألا تزالون مختلفين، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون»[٣].

«وقال المغيرة لقبيصة بن الدمون: الصق لي بشيعة علي، فأخرجهم مع معقل بن قيس، فإنه كان من رؤوس أصحابه، فإذا بعثت بشيعته الذي كانوا يعرفون فاجتمعوا جميعاً، استأنس بعضهم ببعض

---

(١) انظر الرواية رقم [٥٥].
(٢) انظر الرواية رقم [٥٥].
(٣) انظر الرواية رقم [٥٥].

وتناصحوا، وهم أشد استحلالاً لدماء هذه المارقة، وأجرأ عليهم من غيرهم، وقد قاتلوا قبل هذه المرة»[١].

«قال المغيرة: يا معقل بن قيس، إني قد بعثت معك فرسان أهل مصر، أمرت بهم فانتخبوا انتخاباً، فسر إلى هذه العصابة المارقة الذين فارقوا جماعتنا، وشهدوا عليها بالكفر، فادعهم إلى التوبة، وإلى الدخول في الجماعة، فإن فعلوا فاقبل منهم، واكفف عنهم، وإن هم لم يفعلوا فناجزهم، واستعن بالله عليهم»[٢].

وهذه التفاصيل الدقيقة وغيرها قد تأتّت لأبي مخنف من خلال شهود عيان شاركوا في هذا الحدث.

٣ـ حركة حيان بن ظبيان السلمي:

[٥٩] قال الطبري:

«وفي هذه السنة[٣] ولّى معاوية الكوفة عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفي[٤]، وهو ابن أم الحكم[٥] أخت

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٨٥.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٨٩.

(٣) أي سنة ٥٨هـ.

(٤) عبدالرحمن بن عبدالله الثقفي، تابعي، ولي الكوفة والجزيرة في عهد معاوية رضي الله عنه، له ذكر في غزو الروم سنة ٥٣هـ، وقف مع مروان بن الحكم أثناء سعيه للخلافة، توفي أول عهد عبدالملك بن مروان. ابن حجر: الإصابة ٥/ ٤١.

(٥) أم الحكم بنت أبي سفيان، شقيقة معاوية رضي الله عنه، أسلمت عام الفتح وبايعت الرسول ﷺ. ابن عساكر: تاريخ دمشق (تراجم النساء) تحقيق د. سكينة الشهابي ٤٩٧.

معاوية بن أبي سفيان، وعزل عنها الضحاك بن قيس، ففي عمله هذه السنة خرجت الطائفة الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم في السجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد بن علفة، فظفر بهم فاستودعهم السجن، فلما مات المغيرة خرجوا من السجن»[١].

هذا الخبر ذكره ابن الجوزي[٢]، وابن الأثير[٣] بنحوه.

[٦٠] فذكر هشام بن محمد أن أبا مخنف، حدثه عن عبدالرحمن ابن جندب، عن عبدالله بن عقبة الغنوي:

«أن حيان بن ظبيان السلمي جمع إليه أصحابه، ثم إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال لهم: أما بعد، فإن الله عزوجل كتب علينا الجهاد، فمنا من قضى نحبه، ومنا من ينتظر، وأولئك الأبرار الفائزون بفضلهم، ومن يكن منا من ينتظر فهو من سلفنا القاضين نحبهم، السابقين بإحسان؛ فمن كان منكم يريد الله وثوابه فليسلك سبيل أصحابه وإخوانه يؤته الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله مع المحسنين.

قال معاذ بن جوين الطائي: يا أهل الإسلام، إنا والله لو علمنا أنا إذا تركنا جهاد الظلمة وإنكار الجور، كان لنا به عند الله عذر، لكان تركه أيسر علينا، وأخف من ركوبه، ولكنا قد علمنا واستيقنا أنه لا عذر لنا، وقد جعل لنا القلوب والأسماع حتى ننكر الظلم، ونغير

---

(١) ٥/٣٠٩.
(٢) المنتظم ٥/ ٢٩٠.
(٣) الكامل في التاريخ ٣/ ٥١٥.

الجور، ونجاهد الظالمين؛ ثم قال: ابسط يدك نبايعك، فبايعه وبايعه القوم، فضربوا على يد حيان بن ظبيان، فبايعوه، وذلك في إمارة عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان الثقفي، وهو ابن أم الحكم، وكان على شرطته زائدة بن قدامة الثقفي[١].

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل معاذ بن جوين بن حصين الطائي، فقال لهم حيان بن ظبيان: عباد الله، أشيروا برأيكم، أين تأمروني أن أخرج؟ فقال له معاذ: إني أرى أن نسير بنا إلى حلوان حتى ننزلها، فإنها كورة بين السهل والجبل، وبين المصر والثغر ـ يعني بالثغر الري ـ فمن كان يرى رأينا من أهل المصر والثغر والجبال والسواد لحق بنا، فقال لها حيان: عدوك معاجلك قبل اجتماع الناس إليك، لعمري لا يتركونكم حتى يجتمعوا إليكم، ولكن قد رأيت أن أخرج معكم في جانب الكوفة والسبخة أو زرارة[٢] والحيرة، ثم نقاتلهم حتى نلحق بربنا، فإني والله لقد علمت أنكم لا تقدرون وأنتم دون المائة رجل أن تهزموا عدوكم، ولا أن تشتد نكايتكم فيهم؛ ولكن متى علم الله أنكم قد أجهدتم أنفسكم في جهاد عدوه وعدوكم كان لكم به العذر، وخرجتم من الإثم، قالوا: رأينا رأيك، فقال لهم عتريس بن عرقوب أبو سليمان الشيباني[٣]: ولكن لا أرى رأي

---

(١) زائدة بن قدامة الثقفي، كان من رجال المختار بن عبيد الثقفي، ثم أصبح من رجال الحجاج بن يوسف الثقفي، بعثه الحجاج لقتال شبيب الخارجي سنة ٧٦هـ فقتل في ذلك البعث. الطبري: التاريخ ٥/ ٧٢، ٢٤٦.

(٢) زرارة: محلة بالكوفة. ياقوت: معجم البلدان ٣/ ١٣٥.

(٣) عتريس بن عرقوب الشيباني، من تابعي أهل الكوفة، يروي عن عبدالله بن =

جماعتكم، فانظروا في رأي لكم، إني لا إخالكم تجهلون معرفتي بالحرب، وتجربتي بالأمور، فقالوا له: أجل، أنت كما ذكرت، فما رأيك؟ قال: ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمصر، إنكم قليل في كثير، والله ما تزيدون على أن تُجزِرُوهم أنفسكم؛ وتقروا أعينهم بقتلكم، وليس هكذا تكون المكايدة إذ آثرتم أن تخرجوا على قومكم، فكيدوا عدوكم ما يضرهم؛ قالوا: فما الرأي؟ قال: تسيرون إلى الكورة التي أشار بنزولها معاذ بن جوين بن حصين ـ يعني حلوان ـ أو تسيروا بنا إلى عين التمر[١] فنقيم بها، فإذا سمع بنا إخواننا أتونا من كل جانب وأوب[٢]، فقال له حيان بن ظبيان: إنك والله لو سرت بنا أنت وجميع أصحابك نحو أحد هذين الوجهين ما اطمأننتم به حتى يلحق بكم خيول أهل مصر، فأنى تشفون أنفسكم! فوالله ما عدتكم بالكثيرة التي ينبغي أن تطمعوا معها بالنصر في الدنيا على الظالمين المعتدين، فاخرجوا بجانب من مصركم هذا فقاتلوا عن أمر الله من خالف طاعة الله، ولا تربصوا ولا تنتظروا فإنكم إنما تبادرون بذلك إلى الجنة، وتُخرِجون أنفسكم بذلك من الفتنة، قالوا: أما إذا كان لا بد لنا فإنا لن نخالفك، فاخرج حيث أحببت.

فمكث حتى إذا كان آخر سنة من سني ابن أم الحكم في أول السنة[٣] ـ وهو أول يوم من شهر ربيع الآخر ـ اجتمع أصحاب حيان بن

= مسعود رضي الله عنه، أورده ابن حبان في ثقاته ٥/ ٢٨٥.

(١) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة. ياقوت: معجم البلدان ٤/ ١٧٦.

(٢) أوب: الطريق والجهة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٧٦.

(٣) أي في سنة ٥٩هـ.

ظبيان إليه، فقال لهم: يا قوم، إن الله قد جمعكم لخير وعلى خير، والله الذي لا إله غيره ما سررت بشيء قط في الدنيا بعد ما أسلمت سروري لمخرجي هذا على الظلمة الآثمة، فوالله ما أحب أن الدنيا بحذافيرها لي وأن الله حرمني في مخرجي هذا الشهادة، وإني قد رأيت أن نخرج حتى ننزل جانب دار جرير، فإذا خرج إليكم الأحزاب ناجزتموهم، فقال عتريس بن عرقوب البكري: أما أن نقاتلهم في جوف المصر فإنه يقاتلنا الرجال، وتصعد النساء والصبيان والإماء فيرموننا بالحجارة؛ فقال لهم رجل منهم: انزلوا بنا إذاً من وراء المصر الجسر ـ وهو موضع زرارة، وإنما بنيت زرارة بعد ذلك إلا أبياتاً يسيرة كانت منها قبل ذلك ـ فقال لهم معاذ بن جوين بن حصين الطائي: لا، بل سيروا بنا فلننزل بانقيا فما أسرع ما يأتيكم عدوكم، فإذا كان ذلك استقبلنا القوم بوجوهنا، وجعلنا البيوت في ظهورنا، فقاتلناهم من وجه واحد، فخرجوا، فَبُعِثَ إليهم الجيشُ، فقتلوا جميعاً»[١].

هذا الخبر أورد البلاذري[٢] بعضه، وأورده ابن الجوزي[٣] بنحوه، وأورده ابن الأثير[٤] وابن كثير[٥] باختصار شديد.

---

(١) ٥/ ٣٠٩ ـ ٣١١.
(٢) أنساب الأشراف ٤/ ١٧٢.
(٣) المنتظم ٥/ ٩٢٠.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٥١٥.
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٨٢.

ثانياً: حركات الخوارج في البصرة

١ـ حركة يزيد الباهلي وسهم الهجيمي:

[٦١] حدثني أبو زيد، قال: حدثنا علي بن محمد، قال:

«خرج[١] في ولاية ابن عامر لمعاوية، يزيد بن مالك الباهلي، وهو الخطيم ـ وإنما سمي الخطيم لضربة أصابته على وجهه ـ فخرج هو وسهم بن غالب الهجيمي فأصبحوا عند الجسر، فوجدوا عبادة بن قرص الليثي[٢] أحد بني بجير ـ وكانت له صحبة ـ يصلي عند الجسر، فأنكروه فقتلوه.

ثم سألوه الأمان بعد ذلك، فآمنهم ابن عامر، وكتب إلى معاوية: قد جعلت لهم ذمتك، فكتب إليه معاوية: تلك ذمة لو أخفرتها لا سُئِلت عنها، فلم يزالوا آمنين حتى عزل ابن عامر[٣]»[٤].

---

(١) وذلك في سنة ٤١هـ.

(٢) عبادة بن قرص الليثي، له صحبة ورواية، قتلته الخوارج بالأهواز سنة ٤١هـ. ابن حجر: تعجيل المنفعة ٢٠٩.

(٣) في سنة ٤٤هـ.

(٤) ٥/ ١٧٠، ١٧١.

هذا الخبر ذكره خليفة بن خياط[١] مختصراً، وأشار فيه لقتال عبدالله بن عامر للخوارج.

أما البخاري[٢] فقد اكتفى من الخبر بتفصيل ما أجمل الطبري حول لقاء الخوارج بعبادة بن قرص الليثي رضي الله عنه وحوارهم له قبل قتله.

وأورده البلاذري[٣]، وابن الأثير[٤] مطولاً، وذكره الذهبي[٥] مختصراً.

[٦٢] قال الطبري:

«وفيها[٦] خرج الخطيم وسهم بن غالب الهجيمي، فحكَّما، وكان من أمرهما ما حدثني به عمر، قال: حدثنا علي، قال: لما ولي زياد خافه سهم بن غالب الهجيمي والخطيم ـ وهو يزيد بن مالك الباهلي ـ فأما سهم فخرج إلى الأهواز فأحدث وحكَّم، ثم رجع فاختفى وطلب الأمان، فلم يؤمنه زياد، وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه، وأما الخطيم فإن زياداً سيره إلى البحرين[٧]، ثم أذن له فتقدم، فقال له:

---

(١) التاريخ ٢٠٤.
(٢) التاريخ الكبير ٦/ ٩٣.
(٣) أنساب الأشراف ٤/ ١٧٢.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٤١٧.
(٥) تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٧.
(٦) في سنة ٤٦هـ.
(٧) هي البلاد الممتدة على ساحل الخليج العربي من البصرة إلى عمان. ياقوت: معجم البلدان ١/ ٣٤٧.

الزم مصرك؛ وقال لمسلم بن عمرو[١]: اضمنه؛ فأبى وقال: إن بات عن بيته أعلمتك، ثم أتاه مسلم فقال: لم يبت الخطيم الليلة في بيته، فأمر به فقتل، وألقي في باهلة».

هذا الخبر ذكره البلاذري[٢]، وابن الأثير[٣] مطولاً.

٢ـ حركة قريب الأزدي[٤] وزحاف الطائي[٥]:

[٦٣] حدثني عمر قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا غسان بن مضر، عن سعيد بن زيد، قال:

«خرج قريب وزحاف، وزياد بالكوفة، وسمرة[٦] بالبصرة، فخرجا ليلاً، فنزلا بني يشكر، وهم سبعون رجلاً، وذلك في رمضان[٧]، فأتوا بني ضبيعة وهم سبعون رجلاً، فمروا بشيخ منهم يقال له حكاك[٨]، فقال حين رآهم: مرحباً بأبي الشعثاء[٩]! فرآه ابن

---

(١) مسلم بن عمرو الباهلي ـ والد القائد الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلي ـ كان من رجال عبيدالله بن زياد، ثم أصبح من رجال مصعب بن الزبير، قتل سنة ٧١هـ. تاريخ الطبري ٥/٣٥٨؛ ٦/١٥٨.

(٢) أنساب الأشراف ٤/١٧٣.

(٣) الكامل في التاريخ ٣/٤١٨.

(٤) قريب بن مرة الأزدي، من مجتهدي الخوارج. المبرد: الكامل ٣/١١٦٩.

(٥) زحاف الطائي، من مجتهدي الخوارج. المصدر السابق.

(٦) سمرة بن جندب الفزاري، صحابي، وهو من الحفاظ المكثرين عن رسول الله ﷺ، مات في البصرة سنة ٥٨هـ. ابن عبدالبر: الاستيعاب ٢/٦٥٣.

(٧) سنة ٥٠هـ.

(٨) حكاك الضبعي، وقيل رؤبة الضبعي. المبرد: الكامل ٣/١١٧٠.

(٩) وهو يحسب أنه رأى صاحب الشرطة، وأبو الشعثاء بن حصن صاحب شرطة =

حصين[١] فقتلوه، وتفرقوا في مساجد الأزد، وأتت فرقةٌ منهم رحبة بني علي، وفرقة مسجد المعادل، فخرج عليهم سيف بن وهب[٢] في أصحاب له، فقتل من أتاه، وخرج على قريب وزحاف شباب من بني علي وشباب من بني راسب، فرموهم بالنبل، قال قريب: هل في القوم عبدالله بن أوس الطاحي؟ وكان يناضله؛ قيل: نعم؛ قال: فهلم إلى البراز؛ فقتله عبدالله وجاء برأسه، وأقبل زياد من الكوفة فجعل يؤنبه، ثم قال: يا معشر طاحية[٣]، لولا أنكم أصبتم في القوم لنفيتكم إلى السجن، قال: وكان قريب من إياد، وزحاف من طيىء، وكانا ابني خالة، وكانا أول من خرج بعد أهل النهر[٤].

قال غسان: سمعت سعيداً يقول: إن أبا بلال[٥] قال: قريب لا قربه الله، وأيم الله لأن أقع من السماء أحب إلى من أن أصنع ما صنع ـ

= البصرة. خليفة بن خياط: التاريخ ٢٢١.

(١) لعله الخارجي معاذ بن جوين بن حصين الطائي.

(٢) سيف بن وهب المعولي، أبو طلحة، من أشراف الأزد. الطبري: التاريخ ٥/ ٢٢٥.

(٣) طاحية: محلةٌ بالبصرة سكنتها قبيلة طاحية من الأزد فسميت باسمها. السمعاني: الأنساب ٤/ ٢٦.

(٤) لعل المراد أنهما أول من خرج في البصرة بعد أهل النهر ممن شارك في معركة النهروان.

(٥) مرداس بن حدير ـ وأديّة اسم جدته ـ التميمي، أبو بلال، من عُبَّاد الخوارج وزهادهم، جرح في معركة النهروان سنة ٣٨هـ فعفا عنه علي رضي الله عنه، خرج سنة ٦٤هـ في مجموعة من الخوارج فقتلوا جميعاً. انظر: المبرد: الكامل في اللغة ٣/ ١٠٨٣؛ تاريخ خليفة بن خياط ١٩٧، ٢٥٦.

يعني الاستعراض ـ[١]»[٢].

هذا الخبر ذكره خليفة بن خياط[٣]، والبلاذري[٤]، والمبرد[٥]، مطولاً، وذكره اليعقوبي[٦]، وابن الأثير[٧] مختصراً.

وقد ذكر البلاذري واليعقوبي أن زياداً أناب عنه عبيدالله بن أبي بكرة في البصرة بدلاً من سمرة بن جندب رضي الله عنه، وهذا مخالف لروايتي خليفة بن خياط والطبري اللتين تعدان أصح ما في الباب.

[٦٤] حدثني عمر، قال: حدثنا زهير، قال، حدثني وهب، قال: حدثني أبي:

«إن زياداً اشتد في أمر الحرورية بعد قريب وزحاف، فقتلهم وأمر سمرة بذلك، وكان وكان يستخلفه على البصرة إذا خرج إلى الكوفة، فقتل سمرة منهم بشراً كثيراً»[٨].

هذا الخبر أورده خليفة بن خياط[٩] بمثله، وابن الأثير[١٠] بنحوه.

---

(١) الاستعراض: هو اعتراض الناس وقتلهم. ابن منظور: لسان العرب ٧/ ١٧٧.
(٢) ٥/ ٢٣٧، ٢٣٨.
(٣) التاريخ ٢١٩ ـ ٢٢٢.
(٤) أنساب الأشراف ٤/ ١٧٥ ـ ١٧٧.
(٥) الكامل في اللغة ٣/ ١١٦٩ ـ ١١٧١.
(٦) التاريخ ٢/ ٢٣٢.
(٧) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٦٣.
(٨) ٥/ ٢٣٨.
(٩) التاريخ ٢٢٢.
(١٠) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٦٣.

[٦٥] حدثني عمر، قال: حدثنا أبو عبيدة، قال:

«قال زياد يومئذ على المنبر: يا أهل البصرة والله لتكفني هؤلاء أو لأبدأن بكم، والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهماً، قال: فثار الناس بهم فقتلوهم»[١].

هذا الخبر أورده خليفة بن خياط[٢]، وذكر فيه أن زياداً لم يعمم في تهديده جميع أهل البصرة بل خص قوماً منهم وهم الذين ظهرت فيهم الخوارج، وأورده البلاذري[٣]، وذكر فيه أن زياداً وجه تهديده هذا لكل قبيلة يخرج فيها قوم من الخوارج ثم لا يقاتلونهم، أما اليعقوبي[٤] فقد أثرت ميوله الشيعية[٥] في صياغة هذا الخبر، حيث ذكر أن زياداً قد هدد أهل البصرة بقوله:

«لا يخرج علي خارجي بعدها فأدع من حيه وقبيلته أحداً».

كما نقل هذا الخبر ابن الأثير[٦] بمثله.

---

(١) ٥/٢٣٨.
(٢) التاريخ ٢٢٢.
(٣) أنساب الأشراف ٤/١٧٦.
(٤) التاريخ ٢/٢٣٢.
(٥) من تصفح تاريخه يلمس هذا بوضوح، وانظر د. محمد السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي ٤٣٠؛ د. عبدالعزيز ولي: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري ٢٣١.
(٦) الكامل في التاريخ ٣/٤٦٣.

٣ـ خبر عروة بن أُدَيَّة[١] الخارجي:

[٦٦] قال الطبري «وفي هذه السنة[٢] اشتد عبيدالله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم صبراً[٣] جماعة كثيرة، وفي الحرب جماعة أخرى، وممن قتل منهم صبراً عروة بن أديّة، أخو أبي بلال مرداس بن أدية»[٤].

هذا الخبر ذكره ابن الأثير[٥] بنحوه، وقد بين المبرد سبب تشدد عبيدالله بن زياد مع الخوارج فقال:

«وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما ولي بعده، فخرجوا عليه»[٦].

[٦٧] حدثني عمر، قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عيسى بن عاصم الأسدي:

«أن ابن زياد خرج في رهان[٧] له، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع

---

(١) عروة بن حدير ـ وأديّة اسم جدته ـ التميمي، خرج على علي بعد التحكيم وقاتله في معركة النهروان سنة ٣٨هـ لكنه نجا من القتل، قتله عبيدالله بن زياد في سنة ٥٨هـ. الطبري: التاريخ ٥/ ٣١٢؛ المبرد: الكامل في اللغة ٣/ ١٠٩٧ ـ ١٠٩٨.

(٢) سنة ٥٨هـ.

(٣) الصبر: نصب الإنسان للقتل، وكل ذي روح يصبر حياً ثم يرمى حتى يقتل، فقد قتل صبراً، وكل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ، فإنه مقتول صبراً. ابن منظور: لسان العرب ٤/ ٤٣٨.

(٤) ٥/ ٣١٢.

(٥) الكامل في التاريخ ٣/ ٥١٧.

(٦) المبرد: الكامل في اللغة ٣/ ١١٨٧.

(٧) الرهان: المسابقة على الخيل. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٥٥١.

الناس وفيهم عروة بن أدية أخو أبي بلال، فأقبل على ابن زياد فقال: خمس كن في الأمم قبلنا، فقد صرن فينا: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[١]، وخصلتين أخريين لم يحفظهما جرير، فلما قال ذلك ظن ابن زياد أنه لم يجترىء على ذلك إلا ومعه جماعة من أصحابه، فقام وركب وترك رهانه، فقيل لعروة: ما صنعت! تعلمن والله ليقتلنك. قال: فتوارى، فطلبه ابن زياد، فأتى الكوفة، فأُخِذ بها، فَقُدم به على ابن زياد، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال: أرى أنك أفسدت دنياي وأفسدت آخرتك؛ فقتله، وأرسل إلى ابنته فقتلها»[٢].

هذا الخبر ذكره البلاذري[٣] بأتم من رواية الطبري، وفيه ذكرٌ لحوار عبيدالله بن زياد مع بنت عروة بن أديّة الخارجي، وأن قتلها كان بسبب اعتناقها مذهب والدها، أما المبرد فقد تفرد بخبرين متناقضين عن مقتل عروة بن أدية، حيث ذكر في الخبر الأول أن زياد بن أبيه هو الذي قتل عروة[٤]، وذكر في الخبر الثاني أن عبيدالله بن زياد هو الذي قتل عروة بن أدية[٥]، غير أن المبرد يقدم سببين هامين كان لهما أثر كبير في مقتل عروة بن أدية، الأول: تكفير هذا الخارجي لعثمان وعلي

(١) سورة الشعراء: الآية (١٢٨ ـ ١٣٠).
(٢) ٥/٣١٢، ٣١٣.
(٣) أنساب الأشراف ٤/٣٨٧، ٣٨٨.
(٤) الكامل في اللغة٣/١٠٩٨.
(٥) المصدر السابق ٣/١١٨٧.

رضي الله عنهما[١]، الثاني: إقدامه على مساعدة أخيه مرداس بن أدية على الخروج[٢].

أما ابن الأثير[٣] فقد ذكر هذا الخبر بنحو رواية الطبري.

٤ـ حركة مرداس بن أديَّة:

[٦٨] قال الطبري: «وأما مرداس بن أدية فإنه خرج[٤] بالأهواز وقد كان ابن زياد قبل ذلك حبسه ـ فيما حدثني عمر، قال: حدثني خلاد بن يزيد الباهلي، قال ـ: حبس ابن زياد ـ فيمن حبس ـ مرداس ابن أدية، فكان السجان يرى عبادته واجتهاده، وكان يأذن له في الليل، فينصرف، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد، فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم إذا أصبح، فانطلق صديق مرداس إلى منزل مرداس فأخبرهم، وقال: أرسلوا إلى أبي بلال في السجن فليعهد فإنه مقتول، فسمع ذلك مرداس، وبلغ الخبر صاحب السجن، فبات بليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم الخبر مرداس فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي كان يرجع فيه إذا به قد طلع، فقال له السجان: هل بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: نعم؛ قال: ثم غدوت! قال: نعم، ولم يكن جزاؤك مع إحسانك أن تعاقب بسببي؛ وأصبح عبيدالله فجعل يقتل الخوارج، ثم دعا مرداس،

---

(١) المصدر السابق ٣/١٠٩٨.
(٢) المصدر السابق ٣/١١٨٦.
(٣) الكامل في التاريخ ٣/٥١٧، ٥١٨.
(٤) في سنة ٥٨هـ.

فلما حضر وثب السجان ـ وكان ظئراً[١] لعبيدالله ـ فأخذ بقَدَمه[٢]، ثم قال: هب هذا؛ وقص عليه قصته، فوهبه له وأطلقه»[٣].

هذا الخبر ذكره البلاذري[٤]، والمبرد[٥]، وابن الأثير[٦] بنحوه، وقد أشار البلاذري إلى أن عزم عبيدالله بن زياد على قتل من في السجن من الخوارج كان بسبب إقدام بعضهم على قتل أحد الحراس[٧].

[٦٩] حدثني عمر، قال: حدثنا زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني يونس بن عبيد، قال:

«خرج[٨] مرداس أبو بلال ـ وهو من بني ربيعة بن حنظلة ـ في أربعين رجلاً إلى الأهواز، فبعث إليهم ابن زياد جيشاً عليهم أسلم بن زرعة الكلابي[٩] [١٠]، فقتلوا في أصحابه وهزموه، فقال رجل من بني تيم الله بن ثعلبة:

---

(١) أي زوج مرضعته. ابن منظور: لسان العرب ٤/ ٥١٥.
(٢) أي مقدمته. الفيروزأبادي: القاموس المحيط ١٤٨٠.
(٣) ٥/ ٣١٣.
(٤) أنساب الأشراف ٤/ ١٨١.
(٥) الكامل في اللغة ٣/ ١١٧٤ ـ ١١٧٥.
(٦) الكامل في التاريخ ٣/ ٥١٩.
(٧) البلاذري: أنساب الأشراف ٤/ ١٨١.
(٨) في سنة ٥٨هـ.
(٩) أسلم بن زرعة الكلابي، ولي خراسان لعبيدالله بن زياد سنة ٥٥هـ. الطبري: التاريخ ٥/ ٣٠٠.
(١٠) في الأصل (ابن حصن الطائي) والتصويب من الطبري: التاريخ ٥/ ٤٧١.

أألفا مؤمن منكم زعمتم
ويقتلهم بآسك[١] أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنونا
هي الفئة القليلة قد علمتم
على الفئة الكثيرة ينصرونا

قال عمر: البيت الأخير ليس في الحديث، أنشدنيه خلاد بن يزيد الباهلي»[٢].

هذا الخبر ذكره البلاذري[٣]، والمبرد[٤]، وابن عبدربه[٥] مطولاً.

وأورده ابن الأثير[٦] بأتم من رواية الطبري، وقد ذهب البلاذري وابن الأثير إلى أن خروج مرداس بن أدية كان في سنة ٦٠هـ وليس في سنة ٥٨هـ كما في تاريخ الطبري، أما بخصوص المواجهة بين جند البصرة والخوارج فقد ذكر المبرد أن جند البصرة انهزموا من غير قتال[٧]، وهذا الأمر يفسر سبب فشل هذه الحملة وهو أن جند البصرة

(١) آسك: بلد من نواحي الأهواز. ياقوت: معجم البلدان ١/ ٥٣.
(٢) ٥/ ٣١٣، ٣١٤.
(٣) أنساب الأشراف ٤/ ١٨١ ـ ١٨٣.
(٤) الكامل في اللغة ٣/ ١١٧٥ ـ ١١٧٩.
(٥) العقد الفريد ١/ ٢٣٥، ٢٣٦؛ ٢/ ٣٩١، ٣٩٢.
(٦) الكامل في التاريخ ٣/ ٥١٩ ـ ٥٢٠.
(٧) الكامل في اللغة ٣/ ١١٧٨.

لم يقاتلوا أصلاً، ولكن شعراء الخوارج استغلوا هذا الحدث لمصلحتهم ونسجوا حوله ألواناً من البطولة والفروسية، وزعموا أن أربعين منهم قد فتكوا بألفين من جند البصرة.

السمات العامة لحركات الخوارج
في خلافة معاوية رضي الله عنه

قبل الحديث عن السمات تجدر الإشارة إلى أن الطبري لم يستقص جميع حركات الخوارج في خلافة معاوية رضي الله عنه، بل اكتفى بذكر أهم تلك الحركات[١]، وذلك وفقاً لمنهجه الذي قيده في مقدمته حيث قال:

«إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر، وتطول به الكتب»[٢].

أما السمات العامة لحركات الخوارج في خلافة معاوية رضي الله عنه فهي كالتالي:

١ـ اتسمت بالعشوائية والارتجال وقلة التنظيم.

٢ـ كانت أشبه ما تكون بعمليات انتحار جماعي؛ لأنهم يخرجون بفئات قليلة لا تلبث أن تستأصل.

٣ـ افتقارهم إلى قيادة واعية ومحنكة تستطيع استثمار شجاعتهم

---

(١) عن بقية أخبار الخوارج انظر البلاذري: أنساب الأشراف ٤/١٦٥ ـ ١٦٨، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨.

(٢) الطبري: التاريخ ١/٦.

وفروسيتهم لتحقيق أهدافهم.

٤ـ تكرارهم لأخطاء بعضهم وعدم استفادة كل حركة من تجربة سابقتها.

٥ـ استبعادهم لأسلوب الحوار والمناظرة في دعوتهم، ومحاولة فرض فكرهم على المجتمع المسلم بالقوة.

٦ـ اختلاط الدوافع الدينية التي دعتهم للخروج ـ بزعمهم ـ مع دوافع العصبية الجاهلية في حركاتهم، والمتمثلة بخروج بعضهم ثأراً لمن قتل من أصحابهم.

٧ـ شعورهم بالغربة داخل المجتمع المسلم، ونفورهم منه، واقتناعهم أن قتال أهل القبلة أولى من جهاد الكفار.

٨ـ عدم بحثهم عن أرض جديدة لنشر دعوتهم، واقتصارهم على بعض مدن العراق، وخاصةً الكوفة والبصرة.

٩ـ سلوكهم طريقةً منكرةً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي طريقة الاستعراض، ومرد ذلك إلى الجهل بالدين وقلة العلم؛ لأن كثرة العبادة ليست دليلاً على فقه الرجل وإلا لكان الخوارج أفقه أهل زمانهم، ولكنهم كما قال رسول الله ﷺ:

«يحقر أحدكم صلاته مع صلاتِه، وصيامَهُ مع صيامِه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[1].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري مع الفتح ١٢/٣٠٣.